رجال غيروا وجه التاريخ الإنسانى

صفوة النابهين

الفارس والمشاة ..

• المقداد بن عمرو •

obeikandl.com

obeikandl.com

كان تاريخ الإنسانية على موعد مع أحداث تحدث، ومواكب تزحف، ورجال غالبيتهم من المستضعفين فى الأرض، قد عقدوا العزم على غاية تناهت فى السمو، وهى نشر راية التوحيد.. حتى أن سطور التاريخ لم تسجل مثل تلك المشاهد المضيئة، ولا مثل تلك المعجزات التى هى أقرب للأساطير لهؤلاء الرجال، الذين كانوا هم بناة عالم جديد يستشرف أفاقا من النور والرشد.. رجال أنجزوا فى بضع سنين تغييرا جوهريا فى مسار ومصير التاريخ، وقد امتلأت قلوبهم يقينا، وعزما، وتصديقا بالرسالة والرسول وكلماته ودينه.. وهنا يبرز مفتاح المعجزة.. كيف؟!

هذه حقيقة رجال كانوا مع وحول رسول الله ﷺ، مع النور الذى اتبعوه، وبكل الإيمان الصادق الطاهر، وقد نذروا أنفسهم للتضحية والبذل، وبكل جهد خارق.. وإذا كان صحابة موسى ـ عليه السلام ـ ومن اختارهم بعناية لميقات الله، قد قالوا له وفى لحظة عامرة بالمعجزات ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ ثم تتابعت فى مواكب الزمن أعوام وأيام، ليقولوا له ﴿ فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ .. وإذا كان صحابة وأنصار عيسى ـ عليه السلام ـ من الحواريين، وقد عاينوا المعجزات وقد أصبحت حقيقة أمام الأبصار والقلوب، وشاهدوها أمام أعينهم ،تجسد صدق نبى الله ورسوله عيسى ابن مريم.. قالوا له ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١١٢) قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا ﴾ .. !!

أما هؤلاء الرجال مع وحول الرسول ﷺ، ورغم كل الهول الذى احتملوه، وقد اعتصموا بإيمانهم.. قالوا له (آمنا بك، وصدقناك،

وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، ولو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد). . وهذه الكلمات ترسم بوضوح ،كل ما كان لأصحاب الرسول ﷺ من قدرة نفسية هائلة صاغوا بها فضائلهم. . ثم جاء ذلك المشهد العظيم مبكرا (يوم بدر) ليظل درسا حاضرا فى ذاكرة التاريخ الإنسانى، وشاهدا على تجلى بطولات أولئك الرجال، ومعجزاتهم التى حققوها. . وأحد فرسان المشهد هو "المقداد بن عمرو "وفى يوم مشهود. . يوم الفصل فى تاريخ دعوة التوحيد. . يوم الاختبار العسير أمام قلة من المؤمنين وغالبيتهم من المستضعفين ـ بل هم أكثر الناس فقرا ـ أسسوا الدولة الإسلامية الوليدة فى المدينة، وفى مواجهة حاسمة وشرسة مع مقدمة جحافل الشرك والظلام التى تتربص بالدعوة ورسولها الكريم، هى ساعة العسرة، فإما النصر والفوز، وإما محاصرة دعوة التوحيد، وتشتيت المؤمنين بها ،وإجهاض مشروع الهجرة،ورسالة التآخى بين المهاجرين والأنصار!!

وفى موطن كهذا، كان "المقداد بن عمرو" بحكمته الراجحة، وتفكيره العميق، يرى الأمور فى وضوح كامل، ويحسمها فى عزم أكيد، وقد شق عليه أن يرى رسول الله ﷺ فى ذلك اليوم العصيب ، وهو يتلمس استعداد وإيمان الذين معه، ولم يمتحنوا من قبل فى قتال من أجل الإسلام. . وفى لحظة عامرة بالإيمان وبالثبات على الحق، وبصدق الرغبة فى التضحية والبذل. . قال "المقداد" أمام الحشد المؤمن: "يا رسول الله، أمض لما أراك الله، فنحن معك. . والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا ها هنا قاعدون، بل نقول لك: اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا معكم مقاتلون" . .

ويلتقى الجمعان.. وكان "المقداد" أول من ركب ظهر الخيل مقاتلا فى سبيل الله.. ويسجل التاريخ بشهادة الصحابة الأجلاء" أنه أول من عدا به فرسه فى سبيل الله "وكان كل فرسان المسلمين يومئذ ثلاثة فقط، وبقية الصحابة من المشاة، وقليل منهم راكبين إبلا.. وفى ذلك اليوم أبلى الفارس بلاءه المشهود مع المشاة وهم يرمون بالنبال والرماح ويقاتلون بالسيوف، وقد تراجعت صفوف المشركين فى ذهول، وقد غشى سادة قريش من الدهش والعجب ما غشيهم، لتبدأ صفحة جديدة فى تاريخ الدعوة، وترتفع فى جو السماء راياتها الظافرة..

هذه صورة صادقة من صور الجسارة والتضحية..

صورة الفارس الحكيم "المقداد بن الأسود" قبل الإسلام، و" المقداد ابن عمرو" بعد الإسلام، فقد تبناه فى الجاهلية "الأسود بن عبد يغوث" وحمل اسمه، وحين نزلت الآية الكريمة التى تنسخ التبنى، نسب إلى أبيه عمرو بن سعد.. ولم يمنعه حلف الجاهلية من أذى قريش حين أسلم، وربما لم تر قريش من العذاب فى مكة، مثل ما رأت وهم يعذبونه بالنار، ويطعنونه بالرماح، ويلهبون جسده بالسياط، والمشركون قد ملأ قلوبهم الغيظ ؛ لأنهم لا يبلغوا منه شيئا، وقد أنكروا صمته وصبره.. وهو سابع سبعة جاهروا بإسلامهم وأعلنوه، وقد رضيت نفوسهم، واطمأنت قلوبهم، واستيقنوا أن العاقبة للمتقين، وأن الدنيا ستفتح عليهم أقطارها ..

. . . .

وكل الفضائل العظيمة تتواضع أمام هذا الرجل الذى قال له رسول الله ﷺ (إن الله أمرنى بحبك.. وأنبأنى أنه يحبك).. هذا هو

الصحابى الجليل "المقداد بن عمرو" الذى أحب الرسول ﷺ حبا ملأ قلبه وكيانه، حتى لا يكاد يسمع فى المدينة أن هناك صوتا عاليا ـ مجرد صوت ـ حول بيت رسول الله ﷺ ، فينطلق فزعا، ممتطيا صهوة جواده، ملوحا بسيفه، متجها إلى بيت رسول الله ﷺ فى لمح البصر، خشية أن تكون هناك ولو شبهة تهديد قد تلوح فى الأفق.. الشجاعة والفروسية فى كل حين..

والوقائع بعد ذلك أصدق دليل على حكمة وفطنة المقداد.. الفارس الحكيم.. ويكفى أن ينسب إليه رفض الإمارة حتى لا يفتن.. وكان رسول الله ﷺ قد ولاه إحدى الإمارات، وحين عاد إلى المدينة ذات مرة، سأله النبى ﷺ : كيف وجدت الإمارة؟. قال المقداد: لقد جعلتنى الإمارة أنظر إلى نفسى كما لو كنت فوق الناس، وهم جميعا دونى.. والذى بعثك بالحق، لا أتأمرن على اثنين بعد اليوم أبدا!!

. . . .

. . . .

تأملوا حكمة الفارس.. وقد خشى على نفسه من فتنة الإمارة، وفتنة الزهو بالنفس.. ولقد كانت مظاهر حكمته الراجحة، وتفكيره العميق، وكلماته التى تعبر عن حقائق السلوك القويم والمبادئ السامية.. كانت حاضرة الأخبار والروايات فى التاريخ الإسلامى.. وهو من عاش مع فضائله على غاية وأمنية أن يعز الله الإسلام، وأن ترتفع راياته تملأ الضمير الإنسانى نورا ورشدا.. وقد تحقق ذلك مع صدق عزيمة كتائب الحق من فرسان أعظم حقبة من حقب النضال الإنسانى من أجل تحرير الإنسانية من أغلال الجاهلية والوثنية، وتحرير وجودها ومصيرها..

كان المقداد بن عمرو، وهو غلام حليف، ومنذ أن تحول إلى دار الأرقم بن أبى الأرقم، التى اتخذها رسول الله ﷺ ـ لنفسه ولأصحابه ـ مقرا ينشر منه دعوته. كان الصحابى الجليل يرى وقتئذ الهدف والطريق، وبهذه البصيرة النافذة، أن ترتفع رايات الحق تضىء العالم برسالة التوحيد.. هى قوة الإيمان بالحق والخير، ومع النور الذى رأوه بينهم بشرا، معلم البشرية، وخاتم الأنبياء ، ﷺ ..

obeikandl.com